المملكة العربية السعودية

وزارة الحج – مكة المكرمة

ندوة الحج الكبرى لعام 1432هـ / 2012م

مواكب الحج في التراث الإسلامي

دروس وعبر

موكب حج شبه القارة الهندية وآثاره العلمية والثقافية

إعداد

أ. د. سمير عبد الحميد إبراهيم نوح

أستاذ اللغات الشرقية وآدبها

نائب مدير مركز دراسات الأديان التوحيدية – جامعة دوشيشا

كيوتو – اليابان

المملكة العربية السعودية

وزارة الحج – مكة المكرمة

ندوة الحج الكبرى لعام 1432هـ / 2012م

مواكب الحج في التراث الإسلامي – دروس وعبر

موكب حج شبه القارة الهندية وآثاره العلمية والثقافية

إعداد

أ. د. سمير عبد الحميد إبراهيم نوح

أستاذ اللغات الشرقية وآدبها
نائب مدير مركز دراسات الأديان التوحيدية بجامعة دوشيشا
كيوتو - اليابان

. حث الإسلام على السفر والسياحة في الأرض طلبا للعلم والمعرفة والتفقه في الدين، وهكذا شكّل السفر تراثا متصلا بالتاريخ الإسلامي، وكان لمواكب الحج أثر واضح في تشجيع الناس على السفر، وكثيرا ما كان القيام بفريضة الحج نقطة انطلاق لمن شاء أن يشد الرحال إلى الحج ثم يندفع بعدها إلى السفر إلى البلدان المختلفة

كانت بين أهل شبه القارة الهندية وأرض الحرمين – ولا تزال – علاقات خاصة ومتميزة، فقد كانت قلوب أهل الهند حكاما ومحكومين تتوق إلى أرض الحرمين، واهتم الحكام والعلماء هناك

بتشجيع المسلمين على الانخراط في مواكب الحج لأداء الفريضة المقدسة، بل قاموا بأكثر من هذا فشجعوهم على الهجرة إلى مكة المكرمة طلبا للعلم ، وهكذا توفرت لدينا ثروة من مؤلفات أهل شبه القارة الهندية عن مواكب الحج الذين اهتموا بمكة المكرمة وبالأماكن المأثورة فيها وفي أرض الحرمين وحرصوا على زيارتها والكتابة عنها. لقد كان لغلبة العاطفة الدينية لدى مسلمي شبه القارة أعظم الأثر في الارتحال إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحج والعمرة أو الإقامة المؤقتة لفترات طويلة أو حتى الإقامة الدائمة ، مع الأخذ في الاعتبار أنه منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري اعتبر المسلمون في الهند بلادهم " دار حرب " طبقا للفتوى التي أصدرها مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي (سنة 1218هـ/ 1803م) فكان عليهم أن يجاهدوا لتحرير بلادهم من الاستعمار البريطاني من ناحية ، وأن يجدوا لهم متنفسا خارج الهند من ناحية أخرى ، فكانت أرض الحرمين ميدانا مناسبا لهم ولكل مسلمي العالم ، فهي أرض مقدسة لم تخضع لأي نفوذ أجنبي غير مسلم كما أن منطقة الحرمين كانت تعج بالعلماء من جميع أنحاء البلاد الإسلامية مما أوجد بيئة مناسبة للمهاجرين القادمين من الهند .

كانت قلوب أهل الهند حكاما ومحكومين تتوق إلى أرض الحرمين ، كما كانوا يأملون في نيل الثواب من الله بإكرامهم للمدينة المقدسة وأهلها ، فها هو غياث الدين أعظم شاه ، وهو من أعظم سلاطين ألياس شاه في البنغال وأشهرهم (1) يرسل الهبات والهدايا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وأهم من هذه الهبات والهدايا إرساله بمال لعمارة مدرستين : مدرسة بمكة ومدرسة بالمدينة وشراء عقار يوقف عليهما، وقد ذكر ذلك كثير من المؤرخين ، وعلى رأسهم قطب الدين النهروالي (الذي سنذكره فيما بعد) في كتابه تاريخ مكة.(2)

أما السلطان مظفر الحليم الكجراتي خلف السلطان محمود شاه الكجراتي ، الذي تولى الحكم سنة 863 هـ / 1458م ، فكان من حفظة القرآن ومن المحدثين الفقهاء وماهرا في فن الخط بجميع أنواعه فكتب مصحفين بيده ، وأرسلهما إلى الحرمين الشريفين(3) ، وجعل لهما وقفا يصرف لمن يقوم على حفظهما ، ومن يدعو له عند ختمهما ، وللسقاء الذي يسقي القراء وللفراش كذلك (4) كما أنشأ في مكة رباطا ومدرسة وسبيلا للماء ، وجعل لهما وقفا يرسل إلى مكة ينفق على المدرسين والطلبة ومن يقيم في الرباط (5). ومن حكام الهند أيضا شيرشاه السوري الذي جلس على عرش آكرا(بكاف فارسية) في رجب 947 هـ/ 1540م (6) فقد قام بتخصيص سفينتين كبيرتين لنقل الحجاج كل عام مجانا ، وكان بيت المال يتحمل تكاليف سفر أولئك الحجاج(7) كما كان حريصا على تأمين طريق الحج. (8) أما الإمبراطور جلال الدين أكبر (963 هـ – 556 هـ / 1014م – 1605م) فقد زحف على منطقة الكجرات سنة 980 هـ / 1572م ووصل إلى مدينة "سورت " (9) حيث أسس البرتغاليون بها مركزا لتجارتهم وحامية من الجند تحميهم ، وقد تصالح هؤلاء معه وعقدوا معاهدة تعهدوا فيها بتيسير الحج إلى مكة، وعدم التعرض في البحر للحجاج المسلمين، وكانت مدينة " سورت" ميناء يبحر منه الحجاج ، ولا يزال فيها للآن شارع يسمى "باب مكة " . (10)

من الصعب حصر علماء شبه القارة الهندية الذين قدموا في موكب الحج الهندي ، لهذا نكتفي بالإشارة إلى بعض من ذاعت شهرتهم، وهم أيضا كثيرون لا يسمح المجال لذكرهم أيضا ، ولا يقلل هذا من قدرهم ، ونبدأ بالشيخ عبد الله السندهي الذي ولد في أسرة سيخية في قرية جياتوالي (بالجيم المثلثة) في إقليم البنجاب عام 1289 هـ / 1872م ، طالع كتابا بقلم راهب هندوسي أسلم حديثا

بعنوان " تحفة الهند " فشرح الله قلبه للإسلام ، فودع أهله ووصل إلى إقليم السند حيث أعلن إسلامه على يد أحد شيوخ السند الكبار (حافظ محمد صديقي) وتسمى بعبد الله، وقد كتب سيرة حياته بنفسه، بعد أن هاجر إلى مكة المكرمة ، وأثناء إقامته فيها، وذكر أنه اعتبر شيخه والده، والسند موطنه ، ولهذا سمى نفسه بالسندي وقدم إلى مكة المكرمة سنة 1345 هـ 1926م وظل فيها نحو اثني عشر عاما، و عاد سنة1355هـ / 1938م ووافته المنية سنة1363هـ/ 1944م .

ويذكر أنه في مكة المكرمة قام بالإشراف على طباعة كتاب شاه ولي الله " المستوي من أحاديث الموطأ " ، وفي مكة المكرمة أيضا قام بكتابة التفسير الذي أملاه عليه العالم الروسي التركي اللاجئ إلى مكة موسى جار الله (1287هـ/ 1870م – 1369هـ/ 1949م) وهو تفسير القرآن، باللغة العربية ، فقدكتب عبيد الله السندهي :

" ما كان يقوله بالعربية ، كنت أقوم بكتابته ، فقمت بكتابة ألف وأربعمائة صفحة في مائة وخمسين يوما "(11) ومن مؤلفات عبيد الله السندهي العربية التمهيد لأئمة التجديد وهو يتضمن أقوال شاه ولي الله الدهلوي وأولاده وأحفاده من بعده. (12)

وهناك عالم آخر يدعى الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس ، الذي ولد في دهلي في سنة 1335هـ/ 1917م حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره ، وأتم دراسة الحديث في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنبور ، والشيخ محمد إلياس الوالد هو مؤسس جماعة التبليغ ، وقد حرص الشيخ محمد يوسف على أن يرى عمل الدعوة والتبليغ ينتشر في مهد الإسلام ، مكة المكرمة ، وينال من أهلها إقبالا وعناية ، وكان يرى أن هذه الدعوة إذا تأصلت جذورها في هذه الأرض المقدسة ، تستطيع أن تنتشر في العالم كله عن طريق المسلمين الذين يجتمعون فيها من جميع أنحاء العالم لتأدية

فريضة الحج كل عام ، ولهذا هاجر إلى مكة وبدأ عمله موكب الحج بين الحجاج القادمين إلى مكة من بومباي وكراتشي ووصل إلى مكة المكرمة ، وهنا أخذ يزور الحجاج ويبعث العلماء فيهم ، وهكذا أسست جماعات التبليغ ، وأقيمت حلقات في الحرمين الشريفين .

وقد قدم الشيخ محمد يوسف للحج ثلاث مرات ، قدم مع والده سنة 1356 هـ/1937م ، ومع الشيخ حسين أحمد مدني سنة 1374 هـ/1953 وجاء قبل وفاته بعام سنة 1383 هـ/1964م حين ورد إلى مكة مع جماعة كبيرة ، وطاف مكة المكرمة وما حولها من قرى ، وقد نفخ في أداء مناسك الحج روحا جديدة، وجعلها وسيلة الدعوة والتبليغ . من مؤلفاته حياة الصحابة، وقد طبع في بيروت دار صعب ، وهو يدل على مقدار تبحره في السيرة النبوية وأحوال الصحابة(13) أما قطب الدين النهروالي الذي سبقت الإشارة إليه من قبل ، فنذكره هنا رغم تقدمه على من ذكرنا تاريخيا ، وهو المفتي قطب الدين محمد بن رحمة النهروالي ، ولد سنة 917 هـ / 1512م في لاهور ، إلا أن أجداده كانوا من مركز " نهرواله بمحافظة الكجرات، ولهذا يقال له "النهروالي" نسبة إلى موطن أجداده ، وكان قد قدم إلى مكة المكرمة مع والده وهو طفل ، فتتلمذ على يد العلماء المشهورين في مكة آنذاك ، ونال من المعارف والعلوم أكثرها، وبرع في الأدب العربي والحديث والفقه والتفسير والتاريخ والبلاغة ودليل ذلك كتابه "البرق اليماني في فتح العثماني"، عينه السلطان العثماني ناظرا لشعبة الأمور الدينية في مكة المكرمة، ثم صار مفتيا ومدرسا للمدرسة السليمانية وقد توفي في ربيع الثاني 990 هـ / 1582م وكان قد أكمل كتابه تاريخ مكة سنة 985 هـ/1577م (14)

أما حكيم مولوي إرادت حسين فقد حج للمرة الثانية سنة 1281 هـ/1864م ، وظل مقيما في

مكة ثلاث عشرة سنة ، قدم خلالها خدمات جليلة لأهل مكة وللحجاج ،فقد جمع من الحجاج التبرعات وقام بتوسيع الطريق المجاور لرمي الجمرات في منى وكان ضيقا ، ولم يكن هناك طريق للخروج بعد الرمي مما كان يسبب مشاكل أثناء عودتهم وبخاصة للضعفاء والعجزة ، فقام مولوي ارادت حسين وجمع التبرعات من الباشاوات والشرفاء ، وحفر الهضاب هناك ، وقام بتوسيع الشارع ، وشق طريقا خلف الجمرات حتى يأتي الناس من ناحية ، فيرمون الجمار ، ثم يمضون من ناحية أخرى ، ولا يحدث الزحام في العودة (15).

أرض الحرمين ملاذ المسلمين الآمن:

هاجر عدد كبير من علماء الهند إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم تنقطع علاقتهم بالهند، إلا أنهم اعتبروا أرض الحرمين ملاذا لهم يحميهم من بطش الانجليز الذين سعوا إلى القضاء على العلماء المسلمين في الهند عن طريق السجن أو النفي أو القتل، وقد وردت أسماء العلماء الهنود الذين هاجروا إلى بلاد الحرمين في عدد من الكتب العربية منها الضوء اللامع للسخاوي والبدر الطالع للشوكاني وخلاصة الأثر للمحبي وغيرها.

ومن علماء الهند المعروفين الذين هاجروا إلى بلاد الحرمين الشيخ رحمة الله الكيرانوي، وكان الإنجليز قد صادروا أمواله وأملاكه وحظروا بيع كتبه وسعوا إلى القبض عليه قبل أن يتمكن من الخروج من الهند مهاجرا إلى مكة المكرمة، وهناك من سبقوه ومن لحقوه، ومن هؤلاء " الصدر الحميد شاه محمد اسحاق مهاجر مكي " المتوفى في شهر رجب 1262 هـ / 1846م وهو من أحفاد عالم الهند الكبير شاه عبد العزيز المحدث المشهور(16) وقد وصف سيد أحمد خان مجالسه العلمية وطريقة حياته

وتواضعه الجم وزهده وتقواه، وكان شاه محمد اسحاق قد قصد مكة مهاجرا مع أخيه الأصغر سنة 1358 هـ/1939م ، وكانت وفاته في مكة المكرمة سنة 1262 هـ 1846م وقد قال الشيخ عبد الله سراج الذي توفي بعده بسنتين وهو يغسله " والله لو أنه عاش، وقرأت عليه الحديث طول عمري، ما نلت ما ناله "(17) يقصد ما ناله من مرتبة علمية ودرجة رفيعة ، ومن أشهر مؤلفاته مسائل أربعين، ومائة مسائل، وتذكرة الصيام ، وقد ذكر صاحب تراجم علماء حديث هند واحدا وأربعين عالما ممن درسوا على يديه. أما شقيقه شاه محمد يعقوب مهاجر مكي الذي توفي في ذي القعدة 1283 هـ/ ابريل 1867م فكان عالما لا نظير له، اتصف بالخلق الحسن وبالتواضع والزهد ، وكان قد هاجر إلى مكة مع أخيه ، ويذكر أنه بايع سيد احمد شهيد على الجهاد وكان يقوم بالتدريس في دهلي فاستمر في التدريس في مكة جنبا إلى جنب مع أخيه. ومن تلاميذ شاه اسحاق العالم الملقب بشيخ الكل سيد نذير حسين الذي لقب بشيخ الكل لأنه درس الحديث وهو في الستين من عمره (18)

ومن العلماء الذين اضطروا إلى الهجرة إلى مكة المكرمة الشيخ أحمد مهاجر الذي عمل بالتدريس مدة في مدرسة دار الكتاب والسنة، ومدرسة صدر بازار في دهلي وعملا محررا مدة خمس عشرة سنة في مكتب مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند كما عمل بالافتاء أيضا ، إلا أنه اضطر لأسباب يطول شرحها إلى الهجرة أو كما قال مؤلف تراجم علماء حديث هند : : ... جفاكش اور سركرم كاركن هيين انهي كاوشون كا ثمره هـ كه عروس البلاد دهلي أور اس كـ علمي وتمدني هنكامون كو ترك كر كـ بطحا كو ابنا مسكن بناليا هـ " (19)

وانتهى به الأمر إلى الإقامة في المدينة المنورة حيث عمل بالتدريس في "دار علوم القرآن والحديث"

التي كانت تضم أربعة مدرسين ونحو أربعين طالبا في مستويات مختلفة وكانت تدعم من مسلمي الهند، ومن مؤلفاته الصلواة المسلمات بالأردية كتبها في الهند وفي زمن الهجرة كتب أعمال الحج بالأردية كما كتب أيضا تاريخ أهل حديث بالعربية .

وقد ذكر مولانا عبد الماجد الدريابادي في كتابه سفر حجاز لقاءه بمولانا محمد شفيع الدين الذي هاجر إلى مكة قبل وصول عبد الماجد إليها (سنة1347هـ/ 1929م) بأكثر من أربعين سنة، وذكر أن مولانا محمد شفيع الدين الهندي من خلفاء حضرة إمداد الله المهاجر المكي (20) .

ومن العلماء المهاجرين أيضا عبد الوهاب بن حاجي عبد الجبار بن حاجي علي جان المعروف بـ "سجـ ميان" ولد في دهلي سنة 1315هـ/1897م ثم هاجر إلى مكة وهو في العشرين من عمره ودرس على يد علماء مكة من الهنود والعرب (21) ونشر بعض الكتب منها علل الحديث لابن أبي حاتم المسوئي وكان له نشاط في إنشاء و دعم مدرسة دار الحديث في مكة المكرمة وغيرها من مدارس الحجاز، ومن مؤلفاته مجموعة رسائل حج (بالأردية) البلد الأمين (بالأردية) ، وأيضا النفحة الدهلوية وهو عن حياة شاه ولي الله، وقد شغلته أعمال التجارة لكنه ظل لاصقا بالعلماء والصالحين عملا بقول الشاعر: " أحب الصالحين ولست منهم لعل الله يرزقني صلاحا "

وكان العلماء الهنود إذا ما فارقوا أرض الحرمين تمنوا العودة إليها ثانية فقد كانوا يشعرون فيها بالآمان ومثال ذلك الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي تعددت أسفاره خارج مكة ، لكنه كان يفضل بل يصر على العودة إليها ، وهكذا نلاحظ أنه عندما طلب منه السلطان عبد الحميد أن يقبل الإقامة في رعايته في القسطنطينية، لم يجبه الشيخ (22) وفضل الرجوع إلى مكة المكرمة، وكان الشيخ قد زار القسطنطينية ثلاث مرات: الأولى سنة 1280هـ/1863م حين دعاه السلطان عبد العزيز خان

للتعرف على ما كان يروجه المستشرق فندر من أكاذيب، واستقبله السلطان في موكب رسمي، والثانية كانت سنة 1301هـ/1883م بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني الذي أنعم عليه بالوسام المجيدي، وكانت الثالثة سنة 1304 هـ/1886م بدعوة من السلطان عبد الحميد أيضا بهدف العلاج والبقاء تحت رعايته إلا أن الشيخ فضّل الرجوع إلى مكة سنة 1305هـ/1887م ليقضي بقية عمره فيها إلى أن توفاه الله سنة 1308هـ/1890م، وسيأتي ذكره فيما بعد.

وهكذا كانت مكة المكرمة ملاذا للعلماء الهنود ، ملاذا يحميهم من بطش الانجليز الذين سعوا إلى القضاء على العلماء المسلمين في الهند عن طريق السجن أو النفي أو القتل .

أثر موكب الحج الهندي على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في أرض الحرمين:

لا شك أن موكب الحج الهندي كان له أثر لا ينكر في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة وأرض الحرمين من جهة،كما كان لمكة وأرض الحرمين من جهة أخرى أثر واضح في ذيوع شهرة علماء الهند من المهاجرين أو المقيمين أو حتى الزائرين نتيجة لاختلاطهم بعلماء بلاد الحرمين والعلماء المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم، ولنضرب مثلا على ذلك بالشيخ رحمة الله فوجوده في مكة المكرمة كان سببا في تأليفه لكتابه إظهار الحق ووجوده في مكة المكرمة واهتمامه بالدرس والتدريس كان دافعا له ، وبتوفيق من الله ، على أن يقوم بتأسيس المدرسة الصولتية، أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة، يدرس بها تلاميذ من الحجاز ومن بخارا ومن الهند ومن جاوه ومن مراكش ومن قوميات أخرى وقد ذكرها الشيخ أبو الحسن الندوي بقوله : مدرسة صولتيه هندوستاني حجاج كا تو كويا ملجا وماوى تها أي هي ملجأ ومأوى لحجاج الهند، وذكرها الملك عبد العزيز طيب

الله ثراه بعبارة مختصرة جامعة حين زارها في 28 جمادى الآخرة سنة 1344 هـ 11 يناير 1926م يرافقه الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف يا سين : "إن الصولتيه هي أزهر بلادي" وقد ذكر العلماء العرب والشيوخ في البلاد العربية المدرسة الصولتية وأشادوا بها وبنشاطاتها، وبمناهجها وقد اعترف بشهادتها في الأزهر الشريف وفي المملكة العربية السعودية وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن المدارس التي أسهم علماء الهند في تأسيسها في أرض الحرمين أسهمت بدورها في تخريج طلاب علم تقلدوا فيما بعد مناصب عليا داخل أرض الحرمين وخارجها وأسهم بعضهم في تأسيس مدارس دينية في بلده مثلما حدث في أندونسيسا أو الهند أو ماليزيا.

ولم يقتصر الأمر على تأسيس المدارس وتخريج الطلاب بل تعداه إلى التأليف والترجمة وحتى إلى مجال إصدار الصحف المتخصصة، كتب الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه المصابيح القديمة: "...وكنت أشاهد مجلة " نداء الحرم " وأطالع بعض نشرات المدرسة الصولتية، وبعض الصفحات التي كان يكتبها مولانا محمد سليم ، فشكلت هذه الكتابات في البداية ما تمتعت به فيما بعد من ذوق أدبي .. ولا أزال أتذكر تلك الآية الكريمة، وكيفية استخدامها بمعناها الرائع، ودلالاتها الرائعة وأظن أن كثيرا من الناس يجهلون موضع استخدامها الصحيح، انظروا إلى دلالة الآية والربط بينها وبين مؤسس المدرسة الصولتية ثم اقرؤوا الآية الكريمة "فانظر إلى آثار رحمة الله "(سورة الروم آية50) وقد تعجبت حين عرفت أن هذه المجلة تصدر من مكة المكرمة، ومديرها ومحررها رجل عاش حياته في هذا الوادي غير ذي زرع ، ومع هذا فأسلوبه الأدبي أسلوب سهل سلس فيه رقة وعذوبة أدباء لكهنو ودهلي .."

موكب الحج الهندي يعود من أرض الحرمين مدفوعا برياح الإصلاح :

كانت أرض الحرمين مصدر إلهام لعلماء شبه القارة الهندية ومصلحيها، ونشير هنا إلى أمثلة من مناطق متفرقة في الهند ففي البنغال ظهرت دعوة إصلاحية تهدف إلى التمسك بتعاليم الإسلام وإلى المساواة بين الناس والتخلص من نظام الطبقات، وقد بدأ هذه الدعوة شيخ عالم فاضل من علماء البنغال هو الشيخ مير نثار علي الذي اشتهر باسم تيتو مير، واستمرت دعوته الاصلاحية قرابة خمس سنوات 1242هـ/ 1827م – 1247هـ/1831م (23) لقد ارتبط العالم البنغالي بمكة المكرمة حين عقد العزم على القدوم إلى مكة للحج والاستزادة من التعليم الإسلامي، وربما وصل مكة سنة1238هـ/ 1823م(24) فأقام في مكة ثلاث أو أربع سنوات، أدي فريضة الحج ودرس العلوم الإسلامية ، وأكثر من هذا صار له دراية بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب.(25) وقد عاد إلى كلكتا ربما سنة1242هـ/ 1827م واستقر في "حيدر بور" في مقاطعة "باراسات" و بدأ حركته الإصلاحية بين مسلمي المنطقة، فدعاهم إلى التمسك بالتوحيد والبعد عن الشرك والبدعة (26) والبعد عن التفرقة بين الناس داخل المجتمع طبقا لمكانتهم العائلية، كما عارض أيضا ظلم ملاك الأراضي للفلاحين ودعا إلى رفض دفع الضرائب (27) .

وفي البنغال أيضا ظهرت دعوة حاجي شريعت الله الإصلاحية التي تطلق عليها الموسوعة الإسلامية الأردية الجماعة الفرائضية (28) جماعة مسلمة في البنغال أسسها حاجي شريعت الله (29) الذي درس القرآن الكريم وعلوم الدين على يد أستاذه الأول مولانا بشارت علي ، وقد كانت سنة 1214هـ/ 1799 م نقطة تحول في حياته ، حين رافق أستاذه مولانا بشارت على إلى مكة (30) وتشير دائرة المعارف الإسلامية الأردية إلى أنه قدم لأداء مناسك الحج حين كان عمره 17 سنة ، حين اشترك في حلقة الشيخ طاهر السنبل الشافعي المكي، وأقام بمكة حوالي عشرين عاما، وطبقا

لبعض الروايات سافر إلى وطنه مرة أو مرتين خلال تلك المدة ، بينما يذكر الدكتور مهر على أنه عاش ما يقرب من 16 سنة (1215هـ/ 1800م – 1230هـ/ 1815م) دارسا للقرآن والحديث والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى التي كانت تدرس في الحرمين الشريفين، وبرع في العربية وعلومها، وقبل عودته إلى موطنه زار القاهرة ، حيث قضى هناك سنتين يدرس العلوم الإسلامية في جامعة الأزهر، ثم عاد إلى مسقط رأسه "فريد بور" سنة1233هـ/ 1818م (31)، وهكذا قضى شبابه والجزء المؤثر من حياته في مكة والمدينة وكان وجوده في أرض الحرمين في فترة ظهور الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

حين رجع إلى موطنه نال شهرة كبيرة وبدأ بالتدريس وبالنصح والإرشاد في قرى بلاده سرا ، فقام بإيضاح مبادئ الإسلام الصحيحة ، وبين ما دخل الإسلام من شوائب وعقائد غير صحيحة. لم تلق دعوته في البداية أذنا صاغية ، فلم يكن من السهل على الناس آنذاك ترك تلك التقاليد التي تغلغلت في نفوسهم منذ قرون ، فقد كانوا يظنون أنها تقاليد الإسلام وتعاليمه ولهذا خالفوه مخالفة شديدة ، وتعرض الرجل للسب والشتم (32) فشعر أنه بحاجة إلى العودة إلى مكة المكرمة لاستشارة أستاذه ، والحصول منه على إذن بالبدء علانية في دعوته الإصلاحية (33) وهكذا عاد إلى مكة سنة 1234هـ/ 1819م – 1235هـ/ 1820م، ويذكر الدكتور معين الدين أن هدفه من هذه الرحلة الخاصة كان استشارة أستاذه فيما يقوم به من إصلاحات. (34) وعلى كل حال عاد حاجي شريعة الله ليبدأ دعوته الإصلاحية التي عرفت بالفرائضية لأنه ركز كثيرا على أداء فرائض الإسلام، وقد وجدت دعوته قبولا بين الناس وبدأت تنتشر وتتخذ طابعا اجتماعيا وسياسيا ، فقد أوجدت تعاليم الإسلام الداعية إلى المساواة والأخوة والجرأة والشجاعة صدى في نفوس المزارعين البنغاليين ، في وقت أعلن فيه حاجي

شريعة الله أن الهند دار حرب (35) وقد توفي الشيخ سنة1256هـ/ 1840م عن عمر يناهز التاسعة والخمسين .(36) و تولى الدعوة من بعده ابنه محمد محسن الذي اشتهر باسم دودهو ميان وقد تعلم على يد والده الذي أرسله عندما كان في الثانية عشرة من عمره إلى مكة المكرمة للمزيد من التعليم الإسلامي ، فقضى الابن في مكة خمس سنوات ، عاد بعدها إلى موطنه سنة1253هـ/ 1837م بعد أن استدعاه والده لتقدمه في السن (37) ويذكر أن دودهو ميان عاد مرة أخرى إلى مكة ، وأثناء غيابه في سنة 1259هـ/ 1843م بدأت الحكومة تهاجم أتباعه للقضاء عليهم. ومما يذكر أن هذه الدعوة تركت تأثيرا واضحا على مسلمي البنغال وظهرت في البنغال يقظة عامة لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يغفل عن ذكرها .(38)

وعلى موكب الحج الهندي العائد من أرض الحرمين أيضا مضت جماعة المجاهدين التي قادها سيد أحمد شهيد بن سيد محمد عرفان(39) نظرا لسيطرة الإفرنج على الطرق البحرية أفتى بعض علماء الهند بسقوط فريضة الحج ، لكن علماء الحق عارضوا الفتوى، وهكذا أعد سيد أحمد شهيد العدة مع أربعمائة من رفاقه للسفر إلى مكة ، في شوال 1236 هـ / يوليو 1821م وقد انضم إليه عدد كبير ، ووصل عدد القافلة نحو 700 حاج وقد كتب رسائل إلى جماعته في دهلي ، وسهارنبور وغيرها ،جاء فيها (نحن ذاهبون لأداء فريضة الحج .. متوكلون على الله وحده ، نعتمد على الله ، وعلى جهدنا وما نكسب من عمل نؤجر عليه، أما النساء والضعفاء فيكفلهم القادرون منا." (40)

بدأت الرحلة إلى مكة من كلكتا ، ومنها إلى بومباي ، وصولا إلى جدة . وكان سيد أحمد شهيد يفكر في الهجرة من الهند " دار الحرب " والذهاب إلى مكة المكرمة والبقاء في الحرمين الشريفين دون عودة. ويرى معظم الباحثين أن سيد أحمد شهيد قد طور اتجاهه غير السياسي أو المفهوم غير

السياسي للجهاد حين كان في مكة يؤدي فريضة الحج .(41)

والحقيقة أن سيد أحمد شهيد كان قد بدأ سنة1233هـ/ 1818م من دهلي عملية إصلاح ديني تحولت فيما بعد إلى حركة اجتماعية سياسية ، تحولت بعدالعودة من مكة المكرمة إلى حركة جهاد ضد السيخ ، ولهذا أطلق عليها حركة الجهاد " تحريك مجاهدين " (42) وقد وصلت القافلة بالقرب من مكة في 29 شعبان 1237 هـ 21 مايو 1822م ونزلت بالقرب من باب العمرة في بيوت استأجروها، وكان الإمام مع رفاقه من العلماء يجتمعون بعلماء مكة وشيوخها .. وفي يوم العيد التقوا من علماء مكة بالشيخ المحدث عمر عبد الرسول الحنفي ، ووفد عدد كبير من العلماء والشيوخ على الإمام ، ومن هؤلاء الشيخ مصطفى إمام الحنفية وخواجه ألماس الهندي ، وخواجه سرا شيخ الدين والشيخ شمس الدين شطا ، وأحمد باشا ، وحسن أفندي نائب سلطان مصر ، وكذلك أحد كبار مسلمي البلغار(يمتلك مطبعة في بلغاريا) والشيخ عبد الله سراج المكي وكذا وزير سلطان المغرب ويدعى سيد محمد الذي اشتهر بحفظه لصحيح البخاري مع شرح القسطلاني، وكذا الشيخ إدريس ومحمد على الهندي ، وملا بخاري بالإضافة إلى مفتي الشافعي الشيخ صالح الشافعي ومفتي الحنفية وواعظها الشيخ علي .

وفي غرة ذي القعدة سنة 1238 هـ / العاشر من يوليو 1823م طاف سيد احمد شهيد مع رفاقه طواف الوداع .. لتتجه القافلة بعد ذلك إلى الهند حيث بدأ الشيخ برنامج الجهاد لتأسيس حكم إسلامي في شبه القارة يتفق والمبادئ الإسلامية وذلك في نهاية 1243 هـ/ 1826 م

موكب الحج الهندي والتعرف على جوانب الحياة العلمية والثقافية وغيرها في منطقة الحرمين:

ضم موكب حج شبه القارة الهند على مر السنين أمراء وسلاطين، وعلماء وأدباء، هفت قلوبهم إلى البلد الحرام وما حوله، وقد تركت لنا المكتبة الهندية بما فيها من مؤلفات بالفارسية والأردية والإنجليزية وغيرها ثروة معتبرة يجب علينا أن نحافظ عليها بإعادة نشرها ودراستها وترجمتها، فقد كان من بين من ضمهم موكب الحج الهندي من اشتغلوا بالعلم والتعليم ومن تولوا الوظائف الحكومية، ومن كرسوا حياتهم للدعوة والإرشاد والتبليغ أو من قصدوا التجارة وفتح باب الرزق إلا أن اداء شعيرة الحج وطلب العلم يأتي في المقدمة .

لقد دون هؤلاء مشاهداتهم وملاحظاتهم بإسهاب أحيانا وبإيجاز أحيانا أثناء وجودهم في بلاد الحرمين أو بعد عودتهم منها واستخدم بعضهم كتبا ومصادر مساعدة أثناء تدوينهم لكتاباتهم وبخاصة في حديثهم عن الأمور التاريخية التي تتعلق بالأماكن التي يزورونها. وتضمنت كتاباتهم ذكر الأمورالجغرافية ووصف الطرق والمدن والمرافق وغيرها وكذلك الظواهر المناخية والثروات الطبيعية بكافة أنواعها، ولقيت الأمور الاجتماعية عناية هامة من أهل شبة القارة الهندية فتحدثوا عن البشر والمجتمع بتركيبته الفريدة في بلاد الحرمين في فترات تاريخية متلاحقة وضمنوها الأمور الثقافية كالحالة العلمية وذكر العلماء والأدباءوالمدارس وحلقات الدرس والأدب وما إلى ذلك فضلا عن بيان الحالة الافتصادية كالاسواق والمراكز التجارية وغيرها، وكان معظم من ضمهم موكب الحج الهندي من الأدباء فساد الطابع الأدبي كتاباتهم وزخرت مادة مؤلفاتهم بالعناصر الأدبية ولهذا حديث مفصل يأتي لاحقا.

يمكن العودة إلى ما قبل مائة وإحدى عشرة سنة مضت لنقف على رحلة نواب حاجي أحمد حسين خان (سفرنامه حجاز ومصر) 1321هـ/ 1903م التي فصل الحديث فيها عن الأماكن التي تنقل بينها : مكة وعرفات ومنى والمزدلفة وينبع ، والمنازل بين مكة والمدينة ... إلخ والمخاطر التي

كانت تواجه قوافل الحجيج ، وموقف القنصل الإنجليزي في جدة ، وموقف سلطان تركيا الذي كان يحاول نزع أسلحة البدو وإرسال العديد من العساكر الأتراك لحفظ الأمن ، والرحلة تتناول جوانب عديدة تهم الدارسين للمنطقة في تلك الفترة مثل ضرورة التوجه أولا إلى السويس للهروب من عذاب القرنطينة ، ومثل المطوف ، وخدام الحجاج ومساعديهم ، ووسائل النقل ، وتوزيع الصدقات على المحتاجين وهناك وصف لمدينة جدة : الشوارع والمباني والسكان ، ووصف الحياة في مكة ، ووصف الحرم وكيفية الصلاة فيه ، ووصف غارات البدو على الحجاج ، ووصف ما كان يحدث في عرفات من بدعة عزف الموسيقى(34) بالإضافة إلى وصف المدينة المنورة : السكان المباني والأسواق والزراعة.

وعن الظروف السياسية والاجتماعية قبل مائة عام مضت يمكن أن نطالع رحلة شيخ الهند محمد الحسن (1333هـ/1915م – 1335هـ/ – 1917م) فقد كانت في وقت اشتدت فيه الحرب العالمية الأولى ، وهي الرحلة التي جعل عنوانها سفرنامه اسير ملتا لأن الشيخ تعرض للأسر على يد الإنجليز وسجن في مالتا ، والرحلة تلقي الضوء على الحياة السياسية والاجتماعية في فترة مهمة من تاريخ الأمة الإسلامية. (44) وممن اهتموا بتحليل الوضع السياسي أيضا القاضي محمد سليمان سلمان المنصور بوري(45) الذي قدم للحج سنة 1339هـ/ 1921م ، كما قدم مرة أخرى سنة 1349هـ/ 1930م لكنه نشر رحلته عن سفره الأول (46) وكان قد التقى والشريف حسين الذي ناقشه في عدم رضا مسلمي الهند عنه (47) ووصف الكاتب أسواق مكة ، كما وصف الحرم وكتب عن الحياة العلمية في مكة مفصلا الحديث عن مدارس مكة ، كما وصف الحياة الاجتماعية

والاقتصادية في المدينة ،والمباني المحيطة بالحرم ، ووصف مدينة ينبع (48)

ومن الجدير بالذكر أن الرحلات الأردية تؤرخ جيدا للتغير الاجتماعي والنهضة العلمية والثقافية التي طرأت على المنطقة بعد تأسيس الملك عبد العزيز للدولة الحديثة ، ويتضح هذا من رحلة مولانا غلام رسول مهر التي ترجمها كاتب هذا السطور إلى العربية ونشرتها دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، فقد أشار الكاتب إلى التطور الهلمي والثقافي وإلى استتباب الأمن وتحسن الظروف المغيشية، كما وصف لقاء الملك عبد العزيز بكبار علماء العالم الإسلامي ، مشيرا إلى اهتمام الملك عبد العزيز بوحدة الأمة الإسلامية ، ووصف المباني والتكايا والقصر الملكي .(49) أما الوقوف على خدمات الحكومة السعودية في ذلك الوقت ، وعلى وصف دقيق لأسواق مكة وبعض الجوانب الثقافية فيتضح جليا في رحلة مولانا عبد الماجد الدريابادي "سفر حجاز" (1349هـ/1931م) فالمؤلف التقى بالعلماء والشيوخ ووصف الحالة الثقافية والعلمية في منطقة الحرمين ، وشرح كيف عالج الملك عبد العزيز بعض الأمور التي تتنافى مع الكتاب والسنة ولم يكتف الكاتب بالوصف فقط بل قدم مقترحات لعلاج بعض القضايا ، وصف مكة شوارعها ومبانيها وأسواقها والحالة العلمية فيها مفردا بابا للحديث عن المدرسة الصولتية في مكة المكرمة يقول :

"... ومكة ليست مجرد مكان للعبادة فقط ، بل هي مدينة حضارية وثقافية ، فيها المدارس والمستشفيات ، فيها السيارات والدراجات ، فيها الأدوات الكهربائية ، والمطابع والفنادق وجميع مظاهر الحضارة والمدنية ..توجد مكاتب للبرق والهاتف ، ومحطة خاصة بالاسلكي أيضا ، وأماكن للعلاج والتطبيب ، وصيدليات لبيع الأدوية من كل نوع حتى تلك الأدوية الموجودة في دهلي ، وأوده ، والبنجاب ، والدكن ، وبمباي ، والكجرات ... والصحف والمجلات المصرية موجودة في

الأسواق ، كما تصل من الهند الصحف والمجلات الأردية بأعداد هائلة .. وتصدر هنا جريدة أسبوعية باسم أم القرى كل جمعة ، مكتبها قريب من الحرم الشريف ،يقع خلف قصر ولي العهد ، ويتم تبادلها مع جريدة " سج " وهي جريدة شبه رسمية وقد زرتها والتقيت مع مديرها. وقد أورد المؤلف عشرين اقتراحا تحت عنوان الحكومة السعودية وخدمة الحجاج. (50)

وعلى نفس الدرجة من الآهمية تأتي رحلة العلامة مسعود عالم الندوي " شهور في ديار العرب " نظرا لمكانة المؤلف واهتماماته ، فقد ظل طوال سفره يهتم بالأمور العلمية والثقافية ، وقد فصل الحديث عن الملك عبد العزيز وعلماء المملكة ، والمكتبات والمدارس والمعاهد العلمية في جميع المدن التي زارها ، وبخاصة في مكة والمدينة ، وما ذكره عن مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت يستحق الدراسة (51). ، أما رحلة الأديب ماهر القادري (1374هـ/1955م) بعنوان قافلة الحجاز فهي توضح ازدهار الجوانب الحضارية بعامة والثقافية بخاصة في منطقة الحرمين ويركز الكاتب على ما شاهده من تطبيق الشريعة الإسلامية وكذا رعاية حكومة المملكة العربية السعودية للحجاج ،كما ذكر المدرسة الصولتية ، وكتب عن مظاهر الحياة في المدينة المنورة ، ووصف نزول الملك سعود بالمدينة المنورة، كما كتب عن اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بتوسعة الحرم النبوي (52) كما ذكر خدمات وتسهيلات الحكومة للحجاج واستتباب الأمن بعد "قدوم السلطان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود إذ صارت الطرق الآن في جزيرة العرب آمنة حتى إن عجوزا تستطيع وملء يديها ذهب أن تمضي وحدها فلا يقربها أحد .. " (53) وإذا كان الأديب ماهر القادري أشار إلى توسعة الحرم النبوي ، فإن توسعة الحرم المكي مذكورة في " سفر نامه ارض القرآن " 1379هـ / 1959م-1960م وهي رحلة الشيخ أبي الأعلى المودودي التي حررها مرافقه محمد عاصم :

" أثناء إقامتنا في مكة المكرمة أتيحت لنا فرصة مشاهدة توسعة الحرم المكي ، والمباني الجديدة التي نقام حاليا ، والعمل في مشروع توسعة الحرم يمضي على قدم وساق ، وقد اكتمل حتى الآن نصف جانب من جوانب التوسعة ، وسوف تكون المباني على طابقين وكذا الحال في المسعى بين الصفا والمروة الذي اكتمل العمل فيه .. ومشاهدة هذه التوسعة تجعل الإنسان يقدر لاستكمالها اثنتي عشرة سنة على الأقل إلا أنه بعد الانتهاء من هذه التوسعة ستتضاعف مساحة الحرم ،ويمكن لحوالي نصف مليون من أداء الصلاة داخل الحرم المكي في وقت واحد ، وتصبح عمارة الحرم من أعظم عمارات الدنيا ، وتقدر تكلفة هذه التوسعة بمائتي مليون روبية ، وجميع نفقات هذه التوسعة على حساب الملك سعود ومن ماله الخاص ، وسوف يكتب هذا في قائمة أعماله وحسناته."(54)

وفي الرحلة وصف للقاءات الشيخ أبي الأعلى المودودي بالعلماء في مكة المكرمة، ونشاطاته العلمية في جدة والمدينة المنورة. ولهذا فهي تلقي الضوء جليا على الجوانب العلمية والثقافية في المملكة العربية السعودية في تلك الفترة وأراء وأفكار العلماء والشيوخ الكبار..

ومن المؤلفات التي اهتم أصحابها بالصور التوضيحية رحلة الدكتور الحاج شجاع ناموس التي نشرها سنة **1393**هـ/**1973**م بعد أدائه للحج بعشر سنوات ، فقد اخذ تصريحا بتصوير بعض الأماكن ، واهتم في رحلته بالتاريخ والجغرافيا ، وكتب عن السكان أيضا ، ومما جاء في رحلته :

" في عهد آل سعود تبدلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء في جزيرة العرب (هكذا في الأصل) فقد طبقت الحكومة القوانين الشرعية ، ودستور الحكومة السعودية هو القرآن ولا تعترف الحكومة بدستور غيره ، وبه تحقق الأمن والأمان في ربوع البلاد .. وظهرت المباني الجديدة في المدن ، وتأسست الهيئات التعليمية ، وأنشئت المصانع ." (55) " ...في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز

تطورت بعض الهيئات والإدارات ... وجلالة الملك يتبع كتاب الله وسنة رسوله في كل ما يتخذه من إجراءات وقرارات ،وهو يفهم جيدا القوانين الدولية والسياسة الخارجية. " (56) وقد وصف المؤلف الطائف ، وذكر الرعاية الطبية فيها ، كما وصف الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فقد كان هو نفسه عميد إحدى الكليات في لاهور. وعن الملك فيصل كتب أيضا الطاف حسن قريشي في رحلته "وتمضي قافلة القلوب" عن حجه سنة 1386هـ/ 1967م ووصف لقاء وفود الرحمن بجلالة الملك فيصل " (57)، والكاتب صحافي قدير ومن هنا تكمن أهمية رحلته ، التي أشاد فيها بكفاءة السلطات السعودية وقد أثبت الكاتب أيضا تزايد أعداد الحجيج على مر السنوات.(58)

أما الأديب الصحافي ممتاز مفتي فقد سافر للحج بعد سنة واحدة من سفر الطاف قريشي ونشر ذكريات سفره في ست عشرة حلقة بالمجلة الأدبية سيارة بعنوان " لبيك " ثم طبعها في كتاب سنة 1395هـ/1975 وفيها وصف لأسواق جدة بأسلوب أدب رائع ، والبريجيدير كلزار احمد كتب عن رحلته إلى الأراضي المقدسة (1392هـ /1972م وما بعدها) كتابا بعنوان "تذكره حجاز " فأشار إلى الأمن في المملكة العربية السعودية ، كما تحدث عن النهضة التعليمية، وعن الوضع الاقتصادي الجيد للمملكة وعن خدمة الحكومة لضيوف الرحمن. وممن اهتموا بالجوانب الثقافية والتعليمية في المملكة العربية السعودية الأديب حافظ لدهياني الذي كتب عن رحلته كتابا بعنوان "جمال الحرمين" أشرنا إليه من قبل ، وقد اهتم بوصف الأماكن التي مر به ، كما فصل الحديث عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وخاصة أنه التقى بمديرها.(59)

أثر موكب الحج الهندي على التراث الثقافي والأدبي في شبه القارة الهندية:

كان لموكب الحج أثر كبير على أدباء وشعراء شبه القارة ، فقد تأثروا كثيرا ببقائهم أو بحياتهم في أرض

الحرمين وظهر هذا واضحا بعد عودة بعضهم إلى الهند، ونشير هنا إلى أبي الكلام آزاد صبي مكة الذي فارقها صغيرا لكنه ظل في حضن أمه، وظل في حضن لغته الآم العربية لم يفارقه طوال حياته ويشهد على ذلك انتاجه الأدبي وإبداعاته في مجال الأدب وبخاصة الصحافة الأدبية (60)

ولد آزاد من أم حجازية وأب هندي تعرب، فقد مكث والده في مكة نحو ثلاثين عاما (61) وكان عالما جليلا ورجلا تقيا ورعا، له أثره وشهرته في مكة المكرمة وفي الهند وغيرها، تذكر دائرة المعارف الإسلامية الأردية أن أبا الكلام آزاد سافر وعمره عشر سنوات مع والديه إلى كلكتا، التي ذهب إليها أبوه بناء على رغبة أحبابه ، وكان أبو الكلام آزاد وقتها يتكلم الأردية "المكسرة " فقد توفت والدته بعد وصوله كلكتا بسنة واحدة (62) درس أبو الكلام آزاد على يد أبيه مختصرات في كل علم وبدأ قول الشعر وهو في الحادية عشر من عمره ، ثم بدأ في نشر مقالات نثرية ، وفي سنة 1321هـ/ 1903م أصدر مجلة شهرية بعنوان " لسان الصدق " ، وقد ألقى أول خطاب وعمره اثنا عشر عاما ، وقد ألقى خطابا في جمعية حماية الإسلام بلاهور سنة1322هـ/ 1904م نال استحسان الجميع ، وتعجب مولانا شبلي النعماني وأديب الأردية حالي ، حين التقيا بهذا الفتى الذي هو مدير تحرير لسان الصدق ... لقد شكلت نشأته في مكة المكرمة شخصيته العظيمة .

أصدر بعد ذلك مجلة الهلال الأسبوعية ، فصارت مجلة فريدة في عموم الهند ، ويذكر مولانا عبد الماجد الدريابادي أن الهلال " طلعت في سماء كلكتا سنة1330هـ/ 1912م في الغالب ، حين استقر آزاد في كلكتا ، لقد بدل آزاد دنيا الصحافة ، قلبا وقالبا ، شكلا ومضمونا ، فاختلفت صحافته عن صحافة معاصريه ، بإصداره هذه الصحيفة الأسبوعية التي سماها الهلال ، وبالإضافة إلى الأسلوب ،فقد جعلها صحيفة حية ، مطبوعة على ورق جميل ، ومحلاة بالصور الرائعة .(63)

كانت نشأة آزاد في مكة المكرمة وتعلقه بلغة أمه اللغة العربية ذا أثر واضح على أسلوبه منذ البداية ، وهكذا بدأ يدخل في لغة الصحافة التراكيب والتعبيرات العربية ، ويجبر غيره على فهمها ومحاولة استخدامها ، مما أثرى اللغة الأردية بتراكيب جديدة فبدلا من اديتر (اللفظ الإنجليزي) استخدم مدير مسئول ، كما استخدم محرر خصوصي ، ورئيس قلم تحرير ، واستخدم كلمة مجلة بدلا من جريدة ، واستخدم التركيب " بريد افرنك " بدلا من "ولايتي داك " وهو التركيب الأردي المفهوم ، واستخدم التركيب "محير العقول " بدلا من التركيب الفارسي " حيرت انكيز "..

ويذكر مولانا عبد الماجد أن أبا الكلام كان يطلع على القراء كل أسبوع بتعبيرات جديدة ومصطلحات لم يسمعوا عنها ، وبتشبيهات وتراكيب جديدة ، والعجيب أنها كانت تظهر على صفحات جريدته ، فتصبح على الفور عملة رائجة بين جميع الأدباء .. لقد اعترف الجميع بعد ظهور الهلال بأن أبا الكلام آزاد هو الآن مولانا أبو الكلام آزاد ، فقد صار كل بيت يلهث وراء الحصول على نسخة من الهلال. (64)

شارك مولانا آزاد في حركة تحرير الهند وفي حركة الخلافة وكان رئيسا لها ، وأصدر ولعدة أشهر (رمضان 1341هـ/ ابريل 1923م – ذو الحجة 1342هـ/يونيو 1924م) باللغة العربية "الجامعة " مجلة نصف شهرية ، ومن مؤلفاته المرأة المسلمة ، ومسألة خلافت وجزيرة العرب ، وجامع الشواهد عن دخول غير المسلمين المساجد ، وترجمان القرآن 3 مجلدات ، وغبار خاطر ، ومكاتيب ، والهند تكسب حريتها وغيرها. (65)

هناك جانب مهم من تأثير موكب الحج الهندي على الأدب الأردي ، يتمثل في إثراء الأدب الأردي بالكلمات والتعبيرات الجديدة ، بالإضافة إلى استخدام الشعراء لمصطلحات الحج استخداما

رمزيا، ولا يتسع البحث للتفصيل في هذا الجانب ويمكن هنا الاستشهاد بما ورد في شعر الشاعر والمفكر الإسلامي المعروف محمد إقبال (66) الذي استحدث مصطلحا جديدا هو تهذيب حجازي بمعنى الحضارة الحجازية مقابل تهذيب مغرب بمعنى الحضارة الغربية، ومن الضروري الإشارة إلى أن الشاعر استخدم كلمة " حجاز " كناية عن الإسلام ، كما استخدم كلمة زمزم كناية عن تعاليم الإسلام ، واستخدم التركيب قوم حجاز كناية عن الأمة الإسلامية ، أما كلمة حجازي فتعني المسلم الصادق والإنسان صاحب الصفات الطيبة،كما استخدمها أيضا كناية عن العرب ، والتركيب مير عرب ومير حجاز ومحبوب حجازي وسالار حجازي كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما أدخل إقبال الكلمات القديمة والتعبيرات القديمة في استعمالات حديثة ، وخاصة في حديثه عن الموضوعات الدينية ، وبهذا أحيا ألفاظا ماتت في عالم الشعر الفارسي والأردي مثل: طواف، حج ، أذان، حرم ، خليل ، زمزم ، حرم مغربي ، باغ حجاز أي روضة الحجاز ، زمين حجاز أي أرض الحجاز ، ميراث خليل ، مير حجاز أي أمير الحجاز، مدفون يثرب، قوم حجاز، سلطان حجازي ، محبوب حجازي ، صبح حجاز وغيرها(67) كما نلاحظ أنه بنى المجتمع المثالي على أسس منها أن يكون للمجتمع مركز محسوس، ألا وهو الحرم (بيت الله العتيق)(68)

وظل إقبال الشاعر يذكر مكة والحرم وهو في موطنه ، وهو في خارج موطنه ، حين كان في الأندلس وحين كان في باريس ، وفي لندن وحتى وهو يمضي في البحر بجوار جزيرة صقلية ، وهو في فلسطين، وفي أفغانستان وغيرها، وإقبال يذكر أن أركان الأمة الإسلامية التوحيد والرسالة وأن حياة

الأمة تقتضي مركزا محسوسا ، ومركز الأمة الإسلامية هو الحرم في مكة المكرمة ، واجتماع الأمة الحقيقي لا يكون إلا بقصد ، يُقصد إليه ، ومقصد الأمة هو حفظ التوحيد ونشره .

إن النماذج الشعرية في دواوين إقبال الأردية والفارسية كثيرة جدا ففي دواوينه الأردية مثلا استخدم الحرم في أكثر من 45 موضعا والكعبة في أكثر من 15 موضعا والحجاز في أكثر من 25 موضعا ، وفي دواوينه الأردية استخدم الحرم في أكثر من 69 موضعا والبيت الحرام أو بيت الحرام أو بيت الله في موضعين ، واستخدم الكعبة في أكثر من 29 موضعا .

وقد درس الباحثون مفهوم مصطلح تهذيب حجازي الذي أوجده إقبال (69) ومن الشعر الرمزي الذي يتضمن تشبيهات جميلة نذكر لإقبال هذه الأبيات :

" إن عالم الدين هذا لا يحمل همّا ، إن عينه بصيرة ولكنها جافة لا تدمع ، لقد زهدت في صحبته لأنه عالم ولا هم ، وأرض مقدسة ليس بها زمزم "

فالشاعر يشبه العالم بالحجاز لأنه يحمل علما كثيرا وعقلا كبيرا ، لكنه رمال جافة وجبال جرداء ليس فيها زمزم ومكة ببيتها وزمزمها ، ليست برمالها وبطحائها وجبالها فحسب .(70)

ظل العلامة محمد إقبال يتوق لأداء فريضة الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي ، وكلما عقد العزم ، داهمه المرض ، فأقعده ، لكنه يكتب آخر دواوينه بعنوان أرمغان حجاز ويعني حرفيا هدية العائد من الحج ، يناجي فيه ربه ويخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم والبشر جميعا ثم رفاقه على الدرب أيضا، وحين عاب عليه البعض عشقه الشديد للحرمين قال شعرا جميلا مفاده: " لا تلوموني بسبب عشقي وحبي للحرمين ، ألا ترون الطائر عند المغيب يرفرف بجناحيه يبحث عن وكره " وهو يقصد هنا بالمغيب تقدمه في العمر، فإقبال يرى أن أرض الحرمين هي ملاذ كل مسلم ، ولهذا دعا الله قائلا : " يا

رحيما بك للناس مفاز كل ما أبغيه موتي بالحجاز "

" هست شان رحمت كيتي نواز آرزو دارم كه ميرم در حجاز (71)

وإقبال مثله مثل شعراء شبه القارة يستعمل الرمز، فشعراء شبه القارة يستعملون الرمز بكثرة حتى قبل أن تصبح الحركة الرمزية عامة في أوربا ، وإقبال أعطى الرمزية في الأردية والفارسية _ وهما اللغتان اللتان نظم بهما دواوينه الشعرية – اتجاهات جديدة وقوة حتى إنه يمكن القول بأن الحركة الرمزية هي من الملامح البارزة الجلية في فن إقبال .وعلى سبيل المثال كلمة خودي الفارسية كانت تعني الإنطواء فصار معناها احترام الذات أو الذاتية وكلمة الفقر استعملها إقبال يرمز بها إلى السيطرة الأخلاقية وهكذا (72)

وقد أثار عدم فهم شعر إقبال وبخاصة ما ترجم منه إلى اللغات المختلفة اختلاف الآراء حوله ، فإذا ما تكلم عن الحرم فهم الجميع أنه يقصد الحرم المكي ، وإذا ذكر الملا بمعنى الشيخ ، أساء البعض فهم قصده ، رغم أن إقبالا كان يرمز إلى الوضع السيئ للمسلمين في الهند ومعظم بلدان العالم الإسلامي.

لا شك أن إقبالا استفاد في رمزيته من الأدب العربي مستفيدا من شعر الشعراء ومن القرآن الكريم والحديث النبوي ، فرمزيته هذه تجعلك تحس بالقوافل تمضي في الصحراء متجه إلى الحرمين ، وتشعرك بقيظ الرمال ، وبمناظر النخيل في منازل الطريق ، والرمزية واضحة في استخدامه لألفاظ مثل زمزم ، وحراء ، وكعبة ، وحرم ، ولا ، ومنات ، وطواف ، وعرفات وغيرها ، وقد ابتكر إقبال بعض التراكيب مستخدما هذه الألفاظ ، ليعبر عن أفكاره ، واستخرج البعض من القديم المنسي ، وجعله في حالة جديدة ، وتراكيبه الرمزية هذه تمثل حجر الأساس لقنطرة الإلهام الشعري عنده ، فلا يمكن

استبدال لفظة بأخرى ، لأن هذا سيؤدي إلى انهيار القنطرة ، وبعبارة أوضح انهيار التعبير الفني ، لأن التعبير بالنسبة للتجربة الشعرية يعتمد على الألفاظ والتراكيب ، أو المصطلحات التي تشكل جوهر الفكرة ذاتها . فشعره الذي يتضمن كلمة الحجاز وزمزم يلقي بظلال أخرى في ذهن القارئ فالحجاز أو زمزم تثير في الإنسان الأحاسيس التي تجعله يستخرج الشحنة الإيمانية التي تمتزج مع وصف إقبال بعالم الدين الذي لا يفيد الأمة، ولنقرأ هذا الشعر الرمزي بتشبيهاته الجميلة :

" إن عالم الدين هذا لا يحمل هما، عينه بصيرة لكنها جافة لا تدمع ، لقد زهدت في صحبته، لأنه عالم ولا هم ، وأرض مقدسة ليس بها زمزم "

ثم يستخدم إقبال أيضا زمزم مرة أخرى فيقول في ديوانه بانك درا أي صليل الجرس :

زائران كعبه سى اقبال يه بوجهة كوئي كيا حرم كا تحفه زمزم ك سوا كجه بهي نهين

هنا إن إقبالا يتندر على الحجاج الذين يعودون من الحج وقد حملوا معهم فقط ماء زمزم وتمر الحجاز،بينما كان يجب عليهم أن يعودوا حاملين هدية التقوى والطهر وكان يجب عليهم بعد عودتهم أن يعيشوا حياة تجعل قلوب الآخرين بعد رؤية هؤلاء العائدين من الحج تشعر بعظمة الإسلام. وفي قصيدة لاقبال بعنوان طلوع إسلام يخاطب فيها فتى الإسلام ويرمز إليه بطائر الحرم فيقول وما أجمل قوله :

أعد يا طائر الحرم المفدى نشيد الحب للأقوام طرا

وحلق في فضاء الكون واجعل جناحك من غبار اللون حرا(74)

الموكب الهندي بين الماضي والحاضر – أحلام تتحقق وإنجازات تتألق:

لقد رسم موكب الحج الهندي صورة واضحة للحالة الأمنية في منطقة الحرمين على مر العصور، ونشير هنا إلى موكب حج سنة 1236هـ/ 1821م الذي قاده سيد أحمد شهيد في وقت أصدر فيه بعض علماء الهند فتوى بتأجيل فريضة الحج بدعوة خطورة السفر وقد ضم الموكب سبعمائة حاج، ونظرا لعدم استتباب الأمن أنذاك فقد تعرض الموكب إلى مناوشات ومشاحنات من البدو وتكرر الهجوم على القافلة ، كما تعرض بعض أفراد الموكب للتوقيف بتهمة السلفية وتم الافراج عنهم (75) ولم يتوقف الأمر عند حد هجوم البدو على مواكب وقوافل الحجيج، بل واجهت مواكب الحج صعوبة في الحصول على الماء، وكذلك مضايقة اللصوص ، ففي رحلة نواب صديق حسن خان قنوجي بعنوان " رحلة الصديق إلى البيت العتيق " عن وقائع سفره سنة 1285هـ/ 1868م ذكر أن " الماء في بير مستورة ملح أجاج علقم كالسم ولا يوجد هنا سوى السمك واللصوص يتجولون طوال اليوم في واد واسع ... يجب على أفراد القافلة أن ينتبهوا تماما في هذا "المنزل" (من منازل السفر) فهو يعج باللصوص الذين لا يتورعون عن نشل ما في جيوب زملائهم" (76) وكان هناك تقص شديد في المواد التموينية مما كان يدفع بالناس إلى حمل ما يمكن حمله من طعام مثل السمن وغيره والعجيب في أنه في تلك الفترة أي نحو1279هـ/ 1880م (77) كان هناك فروق في أجور التنقل طبقا لمذهب كل جماعة! واذا ما انتقلنا إلى فترة زمنية تالية وبالتحديد في سنة 1321هـ/ 1903م وهو العام الذي شهد وصول موكب الحج الهندي الذي كان يقل أميرة بهوبال جهان بيغم التي كتبت مذكرات رحلتها في الوقت الذي كانت فيه مواكب الحج تمر بمصاعب ومصائب عظام قبل قرن من الزمان ليشهد ذلك على ما يسعد به حجاج هذا الأيام من أمن وأمان ويسر وسهولة، وخدمات

وتسهيلات لم تعد بحاجة إلى بيان أو شرح .

وقد وصفت الأميرة هجوم البدو على الموكب رغم حماية الجيش التركي له ، و كيف قبلت توزيع عطاياها على مهاجميها الذين تحاربوا فيما بعد على توزيع العطايا(78) كما تحكي الأميرة أن الموكب أمر بمنع التجول في المدينة المنورة بناء على كتاب من حاكم المدينة السيد حسن مظفر باشا (79)

ويمكن التعرف على المزيد من المخاطر التي كانت تواجهها مواكب الحج من خلال رحلة حاجي احمد حسين خان "سفرنامه حجاز ومصر" سنة 1321هـ/1903م التي وصف بدقة ما تعرض له موكب الحج قائلا في النهاية " .. إنه يصعب بيان حالة الفوضي تلك، لقد كان الوضع يذكرني بما حدث أثناء ثورة التحرير الهندية سنة 1273هـ/ 1857م " (80)

بعد توحيد أجزاء الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز حدث تطور كبير شهدته منطقة الحرمين تمثل في استتباب الأمن وحلول الآمان ، ولقي ذلك ترحيبا كبيرا من مواكب الحج الهندية ويمكن على سبيل المثال الرجوع ألى ما كتبه غلام رسول مهر عن رحلته(81) فقد شرح مشقة السفر لكنه أشاد بالأمن وتحسن الأحوال المعيشية في منطقة الحرمين، ووجود تحسينات كثيرة على الطرق ، واهتمام الملك عبد العزيز براحة الحجيج، وهو ما أكده عالم آخر هو مولانا عبد الماجد الدريابادي في مذكرات سفره بعنوان سفر نامه حجاز(82) الذي ربطته علاقة قوية بالمسئولين الحكوميين وقدم مقترحات لخدمة الحجيج نالت موافقة الملك عبد العزيز، وتمنى أن تتمكن الحكومة السعودية من إلغاء قيام أئمة المذاهب الأربعة بإمامة صلوات معينة بعد أن ألغت الحكومة وجود أربع مصليات في الحرم لكل مصلى إمام وكتب: "الآن لا توجد إلا مصلى واحدة وصلاة واحدة ." (83)

وقد عبر بصدق عن مكنون قلبه ومشاعر الركب الهندي في هذه العبارة:

" المكانة الأساسية والآصلية للحكومة السعودية في نظر العالم الآسلامي وبخاصة في نظر الحجيج والزائرين إنما هي بسبب خدمة الحرمين .." وقدم عشرين مقترحا نال كثير منها موافقة المسئولين الحكوميين.(84) لقد عبر أدباء الهند وكتاب الهند عن التطور الذي طرأ على منطقة الحرمين وبخاصة في مكة المكرمة وفي المسجد الحرام ورصدوا مراحل التطور، ووصفوا عمارة المسجد الحرام وعمارة مكة والمدينة المنورة، وسجلوا أحداثا ارتبطت بها سياسية أو اجتماعية أو جغرافية، فكتبوا عن السيول والحرائق والزيادات والتوسعات معبرين عن مشاعرهم واحاسيسهم، وكان ذلك على مدار السنوات التي تحملوا فيها مشاق السفر، وقطعوا فيها المسافات للوصول إلى بيت الله العتيق الذي يُعد الحج إليه والصلاة فيه منّة ربانية وتوفيقا إلهيا.

لقد تغيرت مواكب الحج الهندي نظرا لعوامل يرجع بعضها إلى ظروف وأحوال شبه القارة ، ويرجع بعضها الآخر للتطور العمراني والنهضة التي شهدتها المملكة العربية السعودية في مختلف ميادين الحياة مما سهل التنقل بين المنطقتين، وبخاصة في ظل التسهيلات المشهودة في وسائل المواصلات الحالية، وفي ظل وجود الفنادق والمباني السكنية المجهزة والمكيفة ونتيجة لذلك لم يعد الأدباء والكتاب في الغالب يضمنون كتابتهم وصفا لآماكن الحج والزيارة، ولم يعد هؤلاء يهتمون كثيرا بجغرافية الأرض، وإن بقي الاهتمام بوصف التطور العمراني الذي تشهده المملكة ، وقد طرأ تحول كبير على أسلوب الكتابة والتعبير، مع تنوع الاهتمامات، فالوقت الآن يسمح مثلا بزيارة الجامعات والوقوف على النهضة العلمية، وإن كان ذلك يتم بشكل سريع ، وإذا كان الرحالة السابقون يستغرقون وقتا طويلا في السفر فتتاح لهم فرصة التعرف عن قرب عما يكتبون عنه ويصفونه فإن سرعة الحركة في السفر المعاصر تجعل الكاتب يلتقط بسرعة ما يمكنه التقاطه، ويستعين فيما بعد بذاكرته أو روايات أصدقائه

أو ما كتب ونشر من قبل، ومن هنا افتقدنا عمق التفكير وإعمال التأمل فيما كتبه أدباء شبه القارة الهندية المعاصرين، وافتقدنا التدقيق والتمحيص والنقد السليم أحيانا وتضمنت الكتابات المعاصرة تداخلا واضحا للعناصر الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية (85) إلا أن بعض هذه الكتابات تكشف بوضوح عن التطور الكبير الذي شهدته المملكة العربية السعودية، ففي رحلة بعنوان "أيام في ديار الحبيب" كتب الدكتور عبادت بريلوي عن جدة التي سماها مدينة النور "رحنا نمضي في شوارع جدة الجميلة، كانت الطرق مضيئة، والآنوار تتلآلآ في كل مكان حتى إنك تظن أن الليل أصبح نهارا، وكنا في شهر رمضان لهذا ازدانت الشوارع والمحلات وصارت أكثر بهجة وورنقا... وفي السعودية يسهر الناس في رمضان طوال الليل وقد ينامون معظم النهار، والأسواق تفتح ليلا والمكاتب ايضا معظمها يعمل بالليل ... وعلى جوانب الطرق تصطف العمارات الجميلة التي بنيت على الطراز الحديث .. أما السيارات الكبيرة الفارهة فكانت تبدو كأنها تخاطب الريح في الشوارع، والناس على وجوههم السرور والفرحة والبشاشة .. كانت الساعة قد تخطت الواحدة صباحا ؟ (86)

لكن لمكة شأن آخر في تعبيراته فقد كتب:

" رغم أن مكة أصبحت بالضرورة مدينة جديدة إلا أن جو التقاليد القديمة لا يزال كما هو لم يتغير في جانب من جوانبها، فشوارع المدينة المقدسة ليست متسعة كثيرا بل معظمها ضيق، وهناك مبان كثيرة بنيت على الطراز الحديث وأسواق كثيرة شيدت على الطراز الحديث أيضا لكن الجو العام لهذه المدينة المقدسة لا يزال كما هو فيه رائحة القديم وعبق الماضي الخالد كما أن مشاعر الروحانية ترفرف في فضاء المدينة وبين جنباتها في كل وقت ، والأنوار السماوية تهبط في كل لحظة" (87) كما نلاحظ تركيز الآدباء على بيان جهود الحكومة السعودية لخدمة الحجيج والاستعداد للطوارئ وبخاصة

في حالة وجود مرضى وكذلك الرعاية الطبية المقدمة للحجيج أو في حالة حدوث حرائق(88) وبدأ البعض يركز ويهتم بوصف عمارة المسجد الحرام فكتب عفت إلهي علوي في رحلته الى ارض الحرمين (89)): " ممرات المسعي المشيدة بأحجار المرمر هي نموذج نادر وفريد لفن العمارة وعلى الجانبين فسيفساء من الخشب الثمين القيم وهناك شبابيك كثيرة وقمانية أبواب وأضواء كهربائية رائعة تنبعث عن لمبات وثريات وفي المحراب نقوش رائعة مع آيات الذكر الحكيم كتبت بخط جميل ... ووسط المسعى جعلوا مكانا عليه سور صغير وخصصوه للضعفاء وكبار السن يجلسون على كراسي تتحرك بهم بين الصفا والمروة "

إن ماتشهده بلاد الحرمين من نهضة شملت جميع مجالات الحياة ، صار من الصعب أن تتم ملاحقتها من جانب الأدباء والكتاب الذين يفدون عادة مع مواكب الحج الهندي الباكستاني كل عام، والتطور الذي تشهده منطقة الحرمين فاق كل تصور، وكأن أحلاما تحققت ، وتألقت تبهر العيون ، ففي رمضان هذا العام دشن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أكبر توسعة في المسجد الحرام، معلنا بتواضع الكرماء قائلا "هذه التوسعة ما لنا فيها كرم، الكرم كله لله غز وجل، وهذه التوسعة للمسلمين قاطبة.(90)لقد تأسست الجامعات، وتم الانتهاء من أعجوبة جسر الجمرات،كما امتدت قضبان القطارات، وبدأ تنفيذ عدد كبير من المشروعات، على رأسها المشروع الأكبر لإعمار مكة المكرمة الذي سيجعل من العاصمة المقدسة مدينة حضارية عصرية محتفظة بهويتها وهيئتها الإسلامية، فضلا عن ربطها بجدة والمدينة المنورة بخط سكة حديد بطول 450 كيلو مترا مما يحقق حلم ضيوف الرحمن والزائرين في قضاء مناسك الحج والعمرة في يسر وراحة.

خاتمة وتوصيات :

بلاد الحرمين الشريفين في القلب مهما بعدت جغرافيا لأن الإسلام لا يعرف التمييز بين الأوطان، ولا يعرف التفرقة بين إنسان وإنسان إلا بالتقوي والمسلمون يشكلون أمه واحدة ترتبط بوحدة المبادئ والأهداف والعقيدة والفكر والعبادات والمنهج ، تلتقي وفودها التي تفد من أصقاع الأرض فتجتمع في صعيد واحد في ضيافة الرحمن وفي رحاب الطهر في حرم الله الامن وبلده الأمين وبيته العتيق تأتي مواكب الحج ثم تعود كل عام منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فتُسَطّر الذكرياتُ وتَحكي الحكاياتً، وتُنظم الأشعار، وتًكتب الروايات، وتتوفر لنا مادة علمية وأدبية يمكننا اليوم ان نجمعها ونحصرها ونحولها إلى مادة مرئية مسموعة من خلال عمل أفلام تسجيلية تعطي صورة واضحة لما كانت علية بلاد الحرمين قديما، وتنقلنا إلى ما نراها عليه اليوم من تطور عمراني وحضاري لم يكن يخطر على بال إنسان .. ترى ما ذا لو عاد الأديب غلام رسول مهر الى البلد الحرام ليشاهد مكة اليوم أو وادي عرفة أو المدينة المنورة .. وماذا لو عادت سلطان جهان بيغم أميرة بهوبال لترى كيف تنعم أرض الحرمين بالأمن والأمان.. ترى ماذا لو عاد كل من كتبوا عن أرض الحرمين قديما ليشاهدوا توسعة الحرمين والتطور الذي طرأ على أحياء مكة المكرمة والمدينة المنورة وشاهدوا الطرق التي تربط بين مشاعر الحج وشاهدوا جسر الجمرات وشاهدوا المباني السكنية والفنادق وشاهوا النهضة العلمية والثقافية والمدارس والجامعات الحديثة.. ترى ماذا سيكتبون؟!

أتمنى أن تقوم وزارة الحج بوضع خطة لصناعة أفلام تسجيلية عن مواكب الحج الهندي وبخاصة أن المادة العلمية متوفرة بأكثر من لغة من لغات شبه القارة الهندية، فضلا عن الصور والخرائط التي

تمتلئ بها كتب من شرفوا بالحج وزيارة الآماكن المقدسة، وهي تؤرخ للتطور العمراني والحضاري في بلد الحرمين على أن تكون الافلام ناطقة بالعربية وبلغات شبة القارة وبغيرها، ويستلزم هذا إعادة طباعة أهم المصادر المتعلقة بمواكب الحج الهندي عبر تاريخه وإصدارها أو إصدار ملخص لها باللغة الأصلية مع ترجمتها إلى العربية ، كما يمكن أيضا دعوة أبناء شبه القارة الهندية الباكستانية الى الكتابة عن رحلاتهم عن طريق إقامة ندوات خاصة أو مسابقات أدبية حتى يستمر هذا النمط الأدبي الذي بدأنا نفتقده ،نظرا لما طرأ على وسائل السفر من تسهيلات وسرعة، مما لم يعد يسمح للأدباء بفسحة من الوقت للتأمل والتأثر ، وبالتالي الكتابة عن مشاعرهم ومشاهداتهم في أرض الحرمين. وبالله التوفيق

الحواشي والتعليقات :

1- حكم 22 سنة (792هـ 1390م -813هـ 1410م) انظر مهر على تاريخ المسلمين في البنغال م 1 بالانجليزية ص 142 ط عمادة البحث العلمي بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض1406هـ/ 1985م

2- سماه الإعلام بأعلام بيت الحرام لكنه اشتهر باسم تاريخ قطبي أو تاريخ مكة

3- عبد المنعم النمر تاريخ الإسلام في الهند ص 208 دار النشر للجامعات بيروت 1401هـ/ 1981م

4- عبد الحي نزهة الخواطر ج 4 ص 155

5- عبد المنعم النمر مصدر سابق ص 211

6- حكم وهو كبير في السن إلا انه قام بتطوير البلاد وتحديثها واقام الأربطة والمساجد على الطرق واهتم بغرس الآشجار والحدائق

7- عبد الحي نزهة الخواطر ج 4 ص 155

8- النمر مصدر سابق ص 252

9- قي دائرة المعارف الأردية تعرف سورت بباب مكة وتقع عند مصب نهر بلتي مجلد 11 ص 448 ط جامعة البنجاب لاهور

10- النمر مصدر سابق ص 268

11- ماهنامه الرحيم حيدر آباد نوفمبر 1964م نقلا عن دائرة المعارف الآسلامية الأردية مجلد 12 ص 984

12- محمد سرور مولانا عبد اله السندي لاهور 1361هـ/ 1942 وعبد الرشيد أرشد بيس بر... مسلمان ص 402 – 412 لاهور 1389هـ/ 1969م وأيضا حطبات ومقالات عبيد الله السندهي مرتبه محمد سرور لاهور 1390هـ/ 1970م

13- سيرة مولانا محمد يوسف لمحمد الثاني الندوي نقله للعربية سعيد الآعظمي الندوي

14- مقال الدكتور محمد اسحاق مكه مكرمه مين بنعال كـ سلطان غياث الدين كـ تعليمي اور رفاهي كارنامه ماهنامه فكر ونظر ص 118

15- الكتاب المذكور ص 180 نقلا عن مفتدى حسن ازهري في مقال له بعنوان الدر المنثور كاروان ادب العدد الخامس محرم 1416هـ/ ابريل

1995م

16- انظر تراجم علماء حديث هند من تاليف ملك ابو يحي امام نوشهري ط 2 الماخوذة عن ط 1 1357هـ/ 1938م مركزي جمعية طلبه اهل حديث معربي باكسنان ص 125

17- المصدر السابق ص 127 وما بعدها

18- نفسه 136

19- ص 180

20 – رحلته سفرنامه حجاز الباب 26 بعنوان العمره

21-نراجم علماء اهل حديث ص 184

22-كما ذكر عبد الحي صاحب نزهة الخواطر ج 7 ص 1229

23- انظر مقال الدكتور معين الدين ، ترجمة ثروت صولت إلى الأردية في مجلة فكر ونظر عدد 8 مجلد 7 ذي الحجة 1389 هـ – فبراير 1970م اداره تحقيقات اسلامي اسلام آباد بعنوان فرائضي تحريك أي الحركة الفرائضية

24- انظر مهر على مجلد 2 من تاريخ المسلمين في البنغال ص 250

25- لمزيد من التفاصيل انظر كتاب الدكتور مهر علي تاريخ المسلمين في البنعال

26- نفسه ص 252

27- لمزيد من التفاصيل انظر ما كتبه الدكتور مهر على ص 271 وما بعدها

28- مجلد 12 المادة المذكورة

29- ولد سنة1195هـ/ 1781م في قرية تابعة لمركز ماداري بور بديرية فريد بور ، درس القرآن الكريم وعلوم الدين على يد أستاذه الأول مولانا بشارت علي

30- مهر علي مجلد 2 ص 405

31- بينما تذكر دائرة المعارف الإسلامية أنه عاد سنة 1235هـ/ 1820م

32- دائرة المعرف الإسلامية الأردية مجلد 12

33- مهر علي ص 307

34- د معين الدين فرائضي تحريك ترجمة ثروت صولت فكر ونظر عدد 9 مجلد محرم 1390هـ/ 7 مارس 1970م

35- مهر علي ص 314

36- د معين فرائضي تحريك مصدر سابق

37- نفسه ص 673 وقد فصل الدكتور مهر علي كيفية تنظيمه للحركة بعد وفاة والده ص 324، وصراعه مع ملاك الأرضي ص348 وما بعدها، ويذكر أن دودهو ميان عاد مرة أخرى إلى مكة ، وأثناء غيابه في بداية سنة 1259هـ/ 1843م بدأت الحكومة تهاجم أتباع الحركة للقضاء عليها. ص335-360

38- انظر عبد الله ملك بنكالي مسلمانون كي صد ساله جد وجهد آزادي (1170هـ/ 1757م – 1273هـ/ 1857م) ط لاهور 1387هـ/ 1967 م

39- ولد في صفر سنة 1201 هجرية / نوفمبر 1786م في راي بريلي (أودهـ) ويقال إن نسبه يصل إلى علي رضي الله عنه ، اشتهر بقوته الجسدية غير العادية ، بدأ بخدمة أهل الحي والجيران ثم بدأ في خدمة الفقراء والمساكين ، تعلم على يد شاه عبد العزيز المحدث المشهور في دهلي ، ثم أرسله شاه عبد العزيز إلى أخيه شاه عبد القادر نقلا عن دائرة المعرف الإسلامية الأردية مجلد 2 ص 137

40- بدأت الرحلة إلى مكة من كلكتا ، ومنها إلى بومباي ، وصولا إلى جدة . وكان سيد أحمد شهيد يفكر في الهجرة من الهند " دار الحرب " والذهاب إلى مكة المكرمة والبقاء في الحرمين الشريفين دون عودة ، إلا أنه فكر في الواجب المقدس ، وهو رفع كلمة الله ، وتطبيق السنة النبوية والقضاء على البدعة وأنواع الشرك المختلفة

41- انظر ص 324 بحث لـ Muin-ud-Din Ahmad Khan , Sayyid Ahmed Shahid,s Campanion against the Sikhs. Islamic Studies vol. VII Dec. 1963 no 4 Journal of Islamic Research Inst. Pakistan

42- بينما أطلقت الإدارة البريطانية في الهند والكتاب الأوربيون عليها اسم الحركة الوهابية الهندية :

Indian Wahahabism or Wahabi Fanticism

نظرا لشكهم في نواياها السياسية من ناحية ، ولوجود تماثل بينها ، وبين حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ناحية أخرى . انظر معين الدين أحمد خان مقال في Islamic Studies Review No 4 , 1967 بعنوان الطريقة المحمدية – دراسة تحليلية ص 375

43- الرحلة ص 114

44- الرحلة 67-68

45- انظر سيرته في مقدمة سمير عبد الحميد لترجمة كتاب رحمة للعالمين ، ط مكتبة دار السلام بالرياض 1418هـ

46- صدرت سنة 1342هـ/ 1924م ثم صدرت لها طبعة حديثة سنة 1406هـ/ 1986م

47- الرحلة الأصل الأردي ص 103 وما بعدها وانظر الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي ص 191

48- الجزيرة العربية 199 – 203

49- الترجمة العربية سمير عبد الحميد الدارة

50 – وردت في الرحلة من ص 407-413 وانظر مضمونها بالعربية في كتاب الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي ص 256-261

51- الاصل الأردي ص 362

52- الجزيرة العربية في ادب الرحلات الأردي ص 332

53- الرحلة ص 233 وما بعدها

54- الرحلة ص 233 وما بعدها

55- الرحلة 161

56- الرحلة 171-163

57- الحلقة الثانية في مجلة اردو دايجست وانظر الجزيرة العربية في ادب الرحلة ص 404

58- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي ص 405

59- نفسه 339 – 447

60- أبو الكلام آزاد هو محي الدين أحمد ، وآزاد هو تخلصه أو اسمه الأدبي ، أسرته من الهند والحجاز ، فجده هو مولانا محمد هادي من أسرة كلها علم وورع وتقوى ، ووالدة آزاد هي ابنة أخت الشيخ محمد بن طاهر مفتي المدينة المنورة ، وكان والده مولانا خير الدين قد قدم إلى مكة المكرمة وعاش فيها ، ثم تزوج من ابنة هذه الأسرة التي تنتمي إلى المدينة المنورة .

ويُذكر أنه حين توفى جد مولانا آزاد لأبيه ، وترك ابنه "خير الدين " والد آزاد صغيرا ، كفله جده لأمه ورباه تربية دينية ، لكن الجد لم يطق المقام في دهلي وهو يرى أشلاء الدولة الإسلامية تتمزق ، والإنجليز يتحكمون في كل شيء فاستقر رأيه على الهجرة بأسرته إلى مكة المكرمة ، ليقضي فيها بقية حياته بجوار البيت الحرام .. وحين وصل إلى بهوبال في وسط الهند متجها إلى بومباي ليستقل الباخرة إلى جدة ، استوقفته أميرة بهوبال " سكندر جهان بيغم " (18)استوقفته وأبقته نحو سنتين ، لكنه توفى في بومباي ، فواصل حفيده ابن بنته والد آزاد الرحلة إلى مكة المكرمة مع الأسرة ، وكان في الخامسة والعشرين ، وفي مكة بنى له دارا وتزوج – كما يذكر آزاد في مذكراته – من ابنة أحد علماء المدينة المعروفين وهو الشيخ محمد طاهر الوطري ، وفي سنة 1306 هجرية – 1888م ولد أبو الكلام آزاد الذي سماه أبواه محي الدين في محلة " قدوه " المتصلة بباب السلام بالحرم المكي ، وكان أصغر أخوته وأخواته الخمس .

61- دكتور عبد المنعم النمر أبو الكلام آزاد ص 63

62- دائرة المعارف الإسلامية الآردية ط جامعة البنجاب المادة المذكورة

63- آئينه أبو الكلام آزاد مجموعة مقالات رتبها عتيق صديقي انجمن ترقي اردو هند فرع دهلي ط اولى محرم 1397هـ/ نوفمبر 1976م مقال مولانا عبد الماجد بعنوان مولانا آزاد – جند يادين أي بعض الذكريات عن مولانا آزاد ص 50 وما بعدها

64- المصدر السابق ص 51

65- انظر أبو سعيد بزمي مولانا آزاد اقبال اكيدمي لاهور مكايب شبلي جلد 1 2 اعظم كره 1345هـ/ 1927 م وآئينة أبو الكلام آزاد مرتبه

عتيق صديقي ط أولى دهلي 1387هـ/ 1967م وبالعربية سمير عبد الحميد الأدب الأردي الإسلامي والنمر أبو الكلام آزاد ط القاهرة

66- انظر سمير عبد الحميد إقبال وأرمغان حجاز دراسة لعصره وفكره مع دراسة وترجمة الديوان ط 3 اقبال اكيدمي لاهور 1425هـ/ 2004م

67- انظر اقبال وأرمغان حجاز ط 2 لاهور الفصل الثاني أدب إقبال وأيضا مجلة تحقيق شماره خاص جامعة بنجاب لاهور 1995-1996 ص 9-26

68- سمير عبد الحميد الأدب الأردي الإسلامي عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص 558

69- مجلة تحقيق عدد خاص 9-26

70-سمير عبد الحميد اقبال والعرب بحث في مجلة جامعة الإمام العدد الخامس محرم 1412هـ/ يوليو 1991م ص 374

71- سمير عبد الحميد أرمغان حجاز ط المكتبة العلمية لا هور ط 2 وانظر أيضا ترجمة الديوان نشر المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة 1422هـ/ 2001م

72- دكتور يوسف حسين روح إقبال بالأردية 1363هـ/ 1944م ص 138 وأيضا مجتبى مينوي ، إقبال لاهوري بالفارسية ط لاهور ص 32

73- سمير عبد الحميد بحث بعنوان إقبال والعرب مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد 5 محرم 1412 هجرية ص 374

74- الصاوي شعلان إيوان إقبال ص 108

75- انظر غلام رسول مهر سيد احمد شهيد لاهور الباب 16-20 وايضا أبو الحسن الندوي سيد أحمد شهيد ط 7 لكهنو1406هـ/ 1986م ص 366

76- نقلا عن أنور سديد اردو ادب مين سفرنامه ص 470-471

77- رحلة محمد عمر هلى خان وكيل الغرباء 1301هـ/ 1884م ص 473

78- البروفسر محمد حسان خان ثقافة عن الهند ج 1 مقال بعنوان مذكرة رحلة الحجاز لسمو الشيخة سلطان جهان بيغم أميرة بهوبال ص 93 مكتبه دين ودانش بهوبال الهند 1426هـ/ 2005م

79- المصدر السابق ص 98

80- الرحلة ص 105 ط دهلي 1322هـ/ 1904م

81- الرحلة الحجازية دارة الملك عبد العزيز الرياض 1417هـ/1996م

82- انظر سمير عبد الحميد مترجم المركز القومي للترجمة القاهرة

83- الرحلة ص 134

84- ص 407 الرحلة

85- انظر نماذج في الجزيرة العربية في ادب الرحلات الأردي ص 435 وما بعدها

86- الرحلة ص 23

87- الرحلة ص 26

88- رحلة الأديب قيوم قريشي يوميات حاج انظر سمير عبد الحميد الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي ص 438 وما بعدها

89- ط كراتشي 1970م نقلا عن انور سدسد اردو ادب مين سفر نامه ص 506

90- جريدة الشرق الأوسط 20 رمضان 1432هجرية

samirnouh@hotmail.com

Tel.&fax 0081 75 251 3474